جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

المجاز في الرؤية النقدية العربية المعاصرة

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة ديالى، كجزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها تخصص (أدب).

قدمتها الطالبة

فنن نجم عبد الإله

بإشراف

الأستاذ الدكتور

إياد عبد الودود عثمان الحمداني

١٤٣٧هـ ٢٠١٦م

الفصل الاوَّل: الاتجاه التقليدي في رؤية النقّاد المعاصرين

مدخل / البلاغة العربية التقليدية (بلاغة الإمتاع والإقناع)

تعود الجذور الأولى للبلاغة العربية إلى عصر ما قبل الإسلام، حين كانت بداياتها قائمة على الأحكام الذوقية التي لا تستند إلى أُسسٍ معرفيةٍ محددة، بل كانت مقتصرةً على ملاحظات عابرة لبعض شعراء ما قبل الإسلام في تمحيص شعرهم ونقده، وقد مرت البلاغة العربية بمراحل نمو وتطور عبر تاريخها الطويل، فقد تضافرت العديد من العوامل الثقافية والتاريخية والحضارية في بلورة التفكير البلاغي عند علماء العربية، ووصول البلاغة إلى مراحل النضج والاكتمال.

عوامل نشأة البلاغة وأهدافها:

لقد كان وراء نشأة البلاغة العربية، واندفاع العرب إلى الخوض في دراساتها عوامل وأهداف عدة يمكن تلخيصها في الآتي:

الدين:

قد كانت البلاغة العربية مدينة في نشأتها إلى أهم حدث جدَّ في تاريخ الشعوب العربية والأمة الإسلامية فيما بعد، وهو نزول القرآن الكريم[١]، ولم يدّخر علماء المسلمين جهدًا في اثبات إعجازه، محاولين فهم آياته وأسلوبه؛ ليستنبطوا الأحكام منه، الأمر الذي دفع بهم إلى الاتجاه إلى البلاغة باحثين فنونها وموضحين أقسامها لتكون لهم عونًا على فهم القرآن[٢]؛ الأمر الذي جعل ابن خلدون يرى أنَّ الهدف الأسمى من وضع علم البلاغة هو دراسة إعجاز القرآن، والوقوف على خفاياه قائلًا: ((واعلم أنَّ ثمرة هذا الفن إنَّما هي فهم الإعجاز من القرآن))[٣]؛ لذلك أضحت البلاغة العنصر الأساس الذي تقوم عليه كتب الإعجاز. فنزول القرآن الكريم أثار في متلقيه حركة فكرية دفعت بهم إلى رصد ما جاء به من أساليب التعبير البياني مفتشين عن كلِّ ما يميّز تلك الأساليب، والوقوف على مواضع الإعجاز فيه حتى غدا ((القطب الذي تدور حوله مختلف المجهودات الفكرية والعقائدية

(١) ينظر: التفكير البلاغي عند العرب:٣٢.

(٢) ينظر: البحث البلاغي عند العرب:٢١.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٢٥٥.

للمسلمين))[١]، وقد كان لشعور العلماء بواجبهم نحو القرآن أن انصرفوا إلى التأليف في مجازه ومعانيه ولغته وغريبه ووجوه إعجازه مسخّرين كلَّ ما يملكون من مواهب وطاقات عقلية ونفسية لخدمة الدين الإسلامي، وقد كان لنا من ذلك علومًا كثيرة في الفقه والقراءات وعلوم النحو والصرف والبلاغة وغيرها[٢].

إذن يمكن القول إنَّ البلاغة العربية قد نشأت في ظلال القرآن الكريم، وأينعت في رحابه، ووردت من ينابيع معانيه وآياته.

التعليم:

بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية، واعتناق الكثير من الأمم الإسلام على اختلاف ألسنتهم وبيئاتهم، شعر الأوائل بأنَّ اللحن بدأ يدبُّ على ألسنة العرب المسلمين بسبب الاختلاط بين الأجناس، وتزايد حاجة الداخلين في الإسلام إلى تعلم اللغة العربية، وفهم القرآن الكريم[٣]. زيادةً على إشارة الدكتور حمّادي صمّود إلى سيادة روح الجدل والاحتجاج حول قضايا تتعلق بمقومات الحضارة العربية الإسلامية من الوجهة اللغوية والبيانية[٤]. ويمكن القول إنّ كلّ تلك الأمور وغيرها كانت السبب وراء ظهور الحاجة إلى تعليم الناشئة فنون القول والكتابة، فبدأ التقعيد يتشكّل بصورة واسعة ليشمل علوم العربية بهدف وضع معايير تحفظ اللسان من الخطأ وتعين على إدراك أسرار الإعجاز البياني للقرآن الكريم والوقوف على ما في الإبداع البشري من بلاغة وجمال.

لقد أكّد أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) على الهدف التعليمي للبلاغة حين أشار في مقدمة كتاب الصناعتين إلى أهمية البلاغة وما لها من أثرٍ كبيرٍ في الكشف عن إيحاءات النَّص القرآني، وبيان مكنوناته اللغوية وأسلوبه الإعجازي؛ لترقى بذلك إلى مناص العلوم التي ينبغي الإلمام بها وتعلُّم قواعدها ومعرفة أُصولها فهو يقول: ((إنَّ أحقَّ العلوم بالتعلُّم،

---

(١) التفكير البلاغي عند العرب:٣٣.

(٢) ينظر: الموجز في تاريخ البلاغة: ٣٧-٣٨.

(٣) ينظر: القاعدة والذوق في بلاغة السكاكي (بحث)، د. يوسف رزقة أستاذ مساعد بكلية الآداب – الجامعة الإسلامية غزة، مجلة الجامعة الإسلامية، مجلد٧، ع١ يناير، ١٩٩٩م

(٤) ينظر: التفكير البلاغي عند العرب:٥٢.

وأولاها بالتحفظ بعد معرفة الله جلّ ثناؤه علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي يُعرف به إعجاز كتاب الله تعالى))[١]؛ لذلك بدأ العلماء يتنافسون لوضع البحوث والدراسات البلاغية، سعيًا منهم إلى خدمة الدين الإسلامي، من خلال تعليم البلاغة وفنونها من أجل الوقوف على أسرار الإعجاز القرآني.

النقد:

لا يمكن اغفال العلاقة التكاملية بين البلاغة والنقد، فالبلاغة كانت خير معين للنقّاد في تحليل النّصوص الأدبية وبيان مواضع الإبداع فيها والموازنة بينها؛ ((لأنَّها تقدّم الأداة على الفهم والحكم))[٢]. فالصلة بين البلاغة والنقد صلة وثيقة لا تنفصم عراها وظلت كذلك زهاء ثلاثة قرون وليس يفصل أحدهما عن الآخر شيء[٣].

وقد صرّح أبو هلال العسكري إلى أهمية تزود الناقد بفنون البلاغة؛ لما لهذا العلم من أثر في سبر أغوار النَّص، للوقوف على أسرار البيان فيه، قائلًا: إنّ((لهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ومناقب معروفة، منها أنَّ صاحب العربية إذا أخلَّ بطلبه وفرّط في التماسه فاتته فضيلته [...] لأنَّه إذا لم يفرّق بين كلامٍ جيدٍ وآخر بارد، بانَ جهله وظهر نقصه))[٤].

وقد أكّدت الدكتورة نوال عبد الرزاق تلازم والتحام علْمَي النقد والبلاغة على الرغم من اختلاف مدلولهما فإنَّهما يسعيان لتحقيق الهدف ذاته وهو الوصول إلى العبارة السليمة البليغة[٥].

فكان بهذه العلاقة التكاملية حاجة إلى الوقوف على أسرار البيان القرآني وفتح مغالق النَّصوص الأدبية، دافعًا قويًا حفّز الكثير لدراسة البلاغة والتأليف فيها، ويمكن القول إنَّ البلاغة غدت وريث الحكم النقدي الذي يشيع في الوسط الثقافي في الحقب المختلفة.

---

(١) كتاب الصناعتين:٣.

(٢) في المصطلح النقدي:٢٧٠.

(٣) ينظر: المختصر في تاريخ البلاغة:١١.

(٤) كتاب الصناعتين: ٣.

(٥) ينظر: العلاقة بين البلاغة والنقد :١٠.

تبلور اتجاهات البلاغة:

مرت البلاغة العربية بمراحل تطور مختلفة، كان لها الأثر الكبير في تحديد معالمها واستقرار قواعدها، وقد أسهمت مجموعة من الطوائف خلال هذه المراحل التاريخية في بلورة اتجاهات البلاغة العربية، التي لم يمنعها الاختلاف الفكري، والمنهجي من الاشتراك في تحقيق الهدف الأسمى وهو محاولة وضع القواعد البلاغية على أُسسٍ واضحة؛ للوصول إلى تحليل النَّصوص والحكم عليها(١)، وكان من بين تلك الطوائف التي كان لها أثر كبير في نضج وتطور علوم البلاغة.

المفسرون الذين كان لهم أثر كبير في نشأة البلاغة العربية وتطورها، فقد كانت إحدى الوسائل في كشف أسرار الإعجاز من خلال النظر في كتاب الله تعالى وتفسير ألفاظه وتوضيح معانيه والكشف عن أسرار الإعجاز وتبيان ما في الآيات البيّنات من روعة وجمال(٢)، وكان من غير الممكن الوقوف على شيء من ذلك إلّا إذا كان المفسر ذا علمٍ ودرايةٍ بعلوم اللغة بصفةٍ عامة وعلوم البلاغة بخاصة؛ لذلك كان تأمل القرآن وفهم أسلوبه ومعرفة أسراره البيانية دافعًا لظهور الدراسات القرآنية، ومدعاة لظهور البحوث البلاغية، مما حدا ببعض المفسرين أن يضعوا لدراساتهم القرآنية مقدمات بلاغية، كما في مقدمة تفسير الطبري، وتفسير الكشّاف للزمخشري(٣).

أمّا علماء اللغة فقد كان لهم الأثر الكبير في مدّ البلاغة بوافرٍ من الدراسات اللغوية، أظهرها ما يرتبط بالألفاظ، وبيان ما يعتريها من ثقل أو خفة وما يطرأ عليها من تنافر أو تلاؤم، وما يجعل الكلام فصيحًا، وما يجعله غير فصيح الأمر الذي أفاد الدراسات البلاغية(٤).

أمّا إرساء علوم البلاغة، فقد كان من نصيب الأدباء من شعراء وكتّاب، فكان ابن المعتز أحد أبرز الشعراء الذين وضعوا اللبنات الأولى للدرس البلاغي المتخصص؛ إذ

---

(١) ينظر: المختصر في تاريخ البلاغة:٥.

(٢) ينظر: البحث البلاغي عند العرب:٣٢.

(٣) ينظر: بحوث بلاغية:١١.

(٤) ينظر: المختصر في تاريخ البلاغة:٩.

جمع فيه ألوان المحسنات المعنوية واللفظية والتشبيه والاستعارة والكناية، مما كان مفرقًا في كتب السابقين، مع اضافة ألوان أُخر لم تكن معهودة من قبل، وأمّا الكتّاب فقد انمازوا بالذوق السليم، والحس المرهف والثقافة الواسعة والإلمام بفنون البلاغة؛ لذلك صبغوا أبحاثهم بصبغة أدبية، لتكون بأجمل صورة مما عزّز في النفوس الميل الشديد إلى حبِّ البلاغة وتعلمها(١).

ولم تكن طائفة الأدباء وحدها ذات الأثر في البلاغة العربية، بل هنالك طائفة أُخرى أبعد أثرًا وارفع صوتًا في تكوين مصطلحات البلاغة وإقامة دعائمها، وهي طائفة المتكلمين الذين تأثروا بالفكر الفلسفي والثقافة اليونانية، وقد كان لهم أثر مهم في تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز وتقسيم البلاغة على معانٍ وبيان وبديع(٢).

أمّا النقّاد فقد كان لهم أثر لا يقلُّ شأنًا عن أثر هؤلاء، وربما كان النقّاد أبعد أثرًا من الطوائف الأخرى؛ فقد كان (النقد العربي) عاملًا مهمًا أسهم في نشأة البلاغة وتطورها عبر القرون(٣).

ومن خلال ما تقدم من إشارات خاطفة للعوامل التي أدت إلى بلورة علوم البلاغة، يمكن ملاحظة تعدد الطوائف التي أسهمت في ذلك من لغويين ومتكلمين ونقّاد وغيرهم، واختلاف بيئاتهم؛ الأمر الذي أدى إلى وضع البلاغة في اتجاهين مختلفين أُطلق عليهما اسم (المدرسة الأدبية)، و(المدرسة الكلامية).

المدرسة الأدبية:

قد كان القرآن الكريم من أبرز العوامل التي طبعت بحوث البلاغة العربية بطابع أدبي، يعتمد على الذوق الرفيع في بيان مواضع الجمال الفني الذي تزخر به نصوص القرآن، قبل اعتماده التحديد والتقسيم أو وضع القواعد والمصطلحات، وكان للكتّاب والشعراء كذلك أثر في صبغ كثير من موضوعات البلاغة بصبغة أدبية؛ بما انمازوا به من أدبٍ غزير وذوقٍ سليم، فكان نتيجة تلك العوامل أنْ اتجهت البلاغة منذ عهدٍ مبكرٍ اتجاهًا أدبيًا

(١) ينظر: المختصر في تاريخ البلاغة:١٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه:١٢.

(٣) ينظر: المكان نفسه.

وسلكت طريقًا بعيدًا عن قيود الفلسفة والمنطق[١]، فقد فضّلوا الأسلوب السهل المُيسّر البعيد عن التعقيد، وهذا ما يتضح في قول الجاحظ: ((أمّا أنا فلم أرَ قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتّاب، فإنَّهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعّرًا وحشيًا ولا ساقطًا سوقيًّا))[٢].

ومن أبرز علماء هذه المدرسة: ابن المعتز في كتابه (البديع) وهو من أوائل مَن وضع أُسس البلاغة وأرسى قواعدها، وأبو هلال العسكري في كتاب (الصناعتين) إذ استقصى في كتابه صور البيان والبديع التي سجّلها النقّاد وأصحاب البلاغة حتى عصره، وكان في تحليله لتلك الصور ما يدلُّ على رهافة الحس وصفاء الذوق[٣]، وغيرهم من البلاغيين/النقّاد العرب القدماء.

وقد اتسم أنصار هذه المدرسة، باعتماد الأسلوب السهل في مؤلفاتهم، وإيراد الكثير من الشواهد مع العناية الكبير بنوع الشاهد الذي يأتون به، ولا يجعلون القاعدة العلمية هي الأساس، وإنَّما الذوق الفني في انتقاء الشاهد[٤]، ولعلَّ هذا الأسلوب السهل والخصائص الفنية التي يتمتع بها، هو المسوّغ وراء ديمومة أفكار ومنهج هذه المدرسة حتى يومنا هذا.

المدرسة الكلامية:

ظهرت هذه المدرسة استجابة للأثر الفلسفي والمنطقي الذي ساد الثقافة العربية الإسلامية، فقد كان للفلسفة وعلم الكلام أثرٌ في الفكر العربي الإسلامي، ولم يسلم علم من العلوم من ذلك الأثر، فكان للبلاغة النصيب الأوفر منه؛ فتوثقت الصلة منذ عهدٍ مبكر بينها وبين المنطق والفلسفة، وقد ازدادت تلك الصلة حتى بلغت أوجها في القرن السادس للهجرة وما بعده[٥]، ومن أبرز خصائص هذه المدرسة، اهتمامها بالتعريف والتحديد والتقسيم المنطقي، فالتعريف ينبغي أنْ يكون جامعًا مانعًا، واستعمال الطريقة الفلسفية في تحديد

(١) ينظر: البحث البلاغي عند العرب:٥٩.
(٢) البيان والتبيين:١/١٣٥.
(٣) ينظر: البلاغة تطور وتاريخ:١٤٦.
(٤) ينظر: البحث البلاغي عند العرب: ٦١.
(٥) ينظر: دراسات بلاغية ونقدية: ١٥.

الموضوعات وتقسيمها وحصرها، مع الاستعانة بالألفاظ والمصطلحات الفلسفية والمنطقية في تناول الموضوعات البلاغية؛ وبذلك بعدت أشواطًا عن مرمى البلاغة وأهدافها التي تغرس في المتعلم الإحساس الفني، وتصقل الذوق الجميل، فأزهقت روح البلاغة وأحالتها قواعد جامدة لا حياة فيها؛ وبذلك نشأ الجدل العنيف والنقاش الحاد في كتب البلاغة مما أبعدها عن هدفها الأدبي وغايتها الفنية[١]، فقد اتسمت هذه المدرسة، بالجور على الناحية الأدبية في ظواهر عدّة منها: الإقلال من الشواهد الأدبية، وعدم العناية بالناحية الفنية في إدراك خصائص التراكيب، واستعمال المقاييس الحكمية في تقدير المعاني الأدبية، وكان هذا الاتجاه يؤذن بالحيف على غيره، فترى الكلاميين يجملون القول في المواطن الأدبية ويوجزونه، وحينًا يفسدون الملحظ الأدبي إفسادًا مؤلمًا ويشتطون في البعد عنه تعلقًا بأذيال غرض حكمي عقلي[٢].

ومن أبرز علمائها الرازي (ت٦٠٦هـ)، والسكاكي(ت٦٢٦هـ)، والخطيب القزويني(ت٧٣٩هـ)، الذين سعوا إلى تجميد البلاغة وتعقيدها، إذ كان المضمون الفكري هو كلّ ما يخرجون به من تحليلهم للنص الأدبي؛ لأنّه يلائم ميولهم واتجاهاتهم الفلسفية[٣]، وبعد أن كان الدرس البلاغي العربي يعتمد الجانب الفني في معالجاته تحوّل على معالجات تقوم على متابعة اللغة المجردة والتقسيمات المنطقية ووضع الأحكام السابقة للأداء، حين تحولت البلاغة على يد السكاكي إلى علومٍ ثلاثة هي: المعاني والبيان والبديع، تلك التقسيمات التي لم يستطع مَن جاء بعده من النقّاد أنْ يحيدوا عنها، لتبقي آثارها إلى العصر الحديث على الرغم من محاولات النقّاد التحرر منها.

(١) ينظر: المختصر في تاريخ البلاغة:١٢-١٣.

(٢) ينظر: فن القول: ١٣٣.

(٣) ينظر: البلاغة العربية تأصيل وتجديد: ٢٠٣.

المبحث الاوَّل
المجاز في الرؤية العقدية

الحقيقة والمجاز:

ارتبط هذان المتقابلان بظروف فكرية، وعقدية، وفنية، وفلسفية، وغيرها، ونظر الدرس البلاغي الناضج إلى هذين المتقابلين بوصفهما ثنائية؛ فقد ذكرت المصادر أنّ هناك مَن أنكر وجود المجاز، ولاسيما في ميدان العقيدة والأصول في حين ربط آخرون بين الحقيقة وأصلها المجازي والعلاقة الجدلية الفلسفية بينهما، فقد أُثير جدل كبير بين العلماء القدماء منذ العهود الأولى لنشأة الدراسات اللغوية والنقدية حول دلالة اللفظ العربي عمومًا، واللفظ القرآني بشكل خاص، ما هو منه حقيقة، وما هو منه مجاز، وقد ارتبطت هذه المسألة بفلسفة اللغة، ومظاهر تطوّرها وآلية عملها، وأبرز مَن بحث هذه القضية ابن جني (ت٣٩٢هـ) حين ذهب إلى جعل المجاز قسيماً للحقيقة من خلال تحديد مفهوم كلٍّ منهما بقوله: ((الحقيقة: ما أُقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز: ما كان بضدِّ ذلك. وإنَّما يقع المجاز ويُعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة، وهي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه. فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة))[١]، فالمجاز وفق رؤية ابن جني ما كان بضد الحقيقة، وهي ما أُقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، مشترطاً إفادة المجاز معنى الاتساع أو التوكيد أو التشبيه، في الاستعمال، فإن لم تحصل الفائدة عُدِل إلى الحقيقة، ويجد ابن جني في موضع آخر أنَّ أكثر اللغة مجاز في قوله: ((اعلم أنَّ أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة))[٢].

بيد أنَّ ابن فارس (ت٣٩٥هـ) على الرغم من جعله المجاز مقابلًا للحقيقة أيضًا فإنَّه اختلف مع ابن جني في عدِّ المجاز هو الأصل في اللغة مشيراً إلى ذلك بقوله: ((الحقيقة: الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ولا تقديم فيه ولا تأخير، كقول القائل: أحمد الله على نعمة إحسانه وهذا أكثر الكلام))[٣]. ويمكن القول إنَّ رأي ابن فارس ألصق

---

(١) الخصائص :٢/٤٤٤-٤٤٥.

(٢) المصدر نفسه:٢/٤٤٩.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة العربية: ١٤٩.

بالنظرة اللغوية؛ فأصل المجاز حقيقة وأصل الحقيقة حقيقة أيضاً فيكون الأصل الغالب في اللغة الحقيقة، على عكس رأي ابن جني الذي جعل أكثر اللغة مجازات شاعت حتى نُسي أصلها؛ فهو انتقال من مجاز إلى مجاز لا حقيقة فيه وهذا مخالف للمنظومة الراسخة في شكل المجاز وفي شكل الحقيقة[١].

أمَّا ابن الأثير(ت ٦٣٧هـ) فكان معتدلاً في بحثه هذه المسألة، مدلياً برأيٍ وسط يختلف عن الآراء التي حادت عن الاعتدال، مؤكدًا على فساد الرأيين المتضادين؛ الرأي الذي ذهب إلى أنَّ الكلام كلَّه حقيقة لا مجاز فيه، والآخر الذي ذهب إلى أنَّ الكلام كلَّه مجاز لا حقيقة فيه مشيرًا إلى ذلك بقوله: ((وقد ذهب قومٌ إلى أنَّ الكلام كلَّه حقيقة لا مجاز فيه وذهب آخرون إلى أنَّه كلَّه مجاز لا حقيقة فيه وكلا المذهبين فاسدٌ عندي))[٢].

أمَّا العلوي اليمني (ت٧٤٩هـ) فقد برزت براعته على المناقشة والاستدلال، وتطويع اللغة في موضوع وضع الحدود بين الحقيقة والمجاز، حين أشار إلى أنَّ الفيصل في معرفة الحقيقة والمجاز هو اللغة لا غير، محدداً التفريق بينهما بأمرين: الأوَّل: التنصيص (بقطع الاحتمال)، والآخر: الاستدلال (معرض الاحتمال) واضعًا خمسة أوجه للتنصيص يمكن خلالها معرفة الحقيقة وتمييزها عن المجاز من دون إعمال الفكر، وإنَّما بالاستناد إلى ما حدّده واضع اللغة مسبقاً للتفريق بينهما، ويمكن توضيحها في الآتي:

١- التصريح بالقول أنَّ هذا حقيقة.

٢- أنْ يُحدَّ كلٌّ منهما بحدٍّ يميّزه عن الآخر.

٣- أنْ يُذكر لكلٍّ منهما خاصية تخصّه.

٤- أنْ ينص في بعض الألفاظ على أنّها تستعمل في مواضع حقيقة، وفي مواضع أخرى على أنَّها مجاز.

٥- أنْ ينص على أنَّ الألفاظ عندما تستعمل مطلقة فهي حقيقة وإذا استعملت مقيّدة فهي مجاز.

---

(١) ينظر: الاستعارة في الدراسات الحديثة(رسالة ماجستير): ١٣ .

(٢) المثل السائر:٢/٧٥.

أمَّا الاستدلال فهو أن ندرك من الكلام أمورًا تشعرنا بالتفرقة بينهما، وقد وضع لها أربعة أوجه هي:

١- عندما يُفهم اللفظ من غير قرينة هو حقيقة وإذا لم يُفهم إلا بقرينة فهو مجاز.
٢- تعليق الكلمة بما يستحيل عقلاً هذا هو المجاز.
٣- أن يضعوا لفظًا لمعنى ثم يتركوا استعماله على العموم فيكون حقيقةً فإذا أُطلق على المفرد كان مجازًا.
٤- استعمال أهل اللغة عبارات مخصوصة لإفهام غيرهم معنًى من المعاني وهي الحقيقة، فإذا غيروا دلالة اللفظ إلى دلالة أخرى لم يقتصروا عليها بل ذكروا معها قرينة، وهذا هو المجاز[١].

ومن خلال هذه الأوجه والتقسيمات يمكن إدراك مدى تأثر العلوي اليمني بالمنطق من خلال تلك الحدود التي وضعها للتمييز بين الحقيقة والمجاز، ويبدو أنّه من الاستحالة حصر جميع الألفاظ ضمن هذه الأوجه، فاللغة كائن حي ينمو ويتطوّر، زيادة على مظاهر التأثر والتأثير والتفاعل مع اللغات الأخرى، واختلاف المعاني مع المتغير الثقافي للأُمة، مما يدعو إلى رفد اللغة العربية بألفاظ جديدة تلائم ثقافة العصر.

لغة القرآن:

إنَّ أيّة لغة في العالم أضيق في مجالها اللفظي من تجليات الأفكار التي ترد على أخيلة المتكلمين بها، ومن هنا تصبح المعاني العرفيّة (الحقيقية) للألفاظ قاصرة على الوفاء بمطالب التعبير اللغوي، ولاسيّما في مجال الأفكار المجردة والصور والظلال، ومن هنا يغدو تجاوز الحقيقة اللغوية إلى استعمال لفظ آخر يسمى (المجاز) ضرورةً[٢].

فكان المجاز وسيلة من وسائل الأداء اللغوي، التي لا يمكن فهم طبيعته ووظيفته بشكل منفصل عن تصور طبيعة اللغة ودلالتها، وهذا ما يحيل على تصور أعم لطبيعة النشاط العقلي في سعيّه نحو المعرفة[٣]. فقد ((شكَّل المجاز في الحياة العقلية العربية

(١) ينظر : الطراز: ١/٥٠-٥١، وعلوم البلاغة عند العلوي اليمني(رسالة ماجستير):٣٩-٤٠.
(٢) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها :١٩.
(٣) ينظر: الاتجاه العقلي في التفسير :٦.

معضلة كبرى تجاوزت وضعها اللغوي، لتأسس لمفاهيم عقدية أنذرت بعصر جديد للفكر الإسلامي))[١].

قد أدرك العلماء المسلمون أنَّ التعامل مع النَّصوص القرآنية على وفق ما تقتضيه اللغة الظاهرية، يمثل مشكلة أدت إلى وقوع اختلافات عقدية، أظهرها ما كشفت عنه الآيات التي تبدو في ظاهرها مناقضة لتصورات العقل، الأمر الذي أدّى إلى ظهور الخلاف بين المسلمين، ليتجسد ذلك الخلاف في صورة مذاهب وفرق اتخذت من النَّصوص القرآنية أداة لضرب بعضها الآخر[٢]، وقد أدت تلك الإشكالية إلى نهضة فكرية كان الهدف منها الدفاع عن القرآن الكريم، وسط تلك التحديات العقدية.

وقد كان المجاز يمثل طوق النجاة لكثيرٍ من الفرق الإسلامية ولاسيما المعتزلة، فكانوا يتعاملون مع قضايا اللغة بعقل الفقيه المستسلم لحسّه المناهض لإثنينية الحقيقة والمجاز، فيفتي بوجود المجاز في القرآن وبوجوده في اللغة أيضاً[٣].

وقد ردَّ الجاحظ (ت٢٥٥هـ) مبكرًا على منكري وجود المجاز، سواء في القرآن أم في غيره، جاعلاً المجاز مفخرةً من مفاخر العرب في لغتهم مؤكدًا ضرورته للاتساع في اللغة، بما يعطيها من مدلولات جديدة، وإغنائها بمعطيات ثرة وافرة[٤]، فهو أوّل مَن استعمل المجاز للدلالة على الصور البيانية تارة أو على المعنى المقابل للحقيقة تارة أَخرى[٥].

بيد أنَّ هذه القضية لم تقتصر على فرقة دون أُخرى و ((الواقع أنَّ أغلب رجال البلاغة يدخل في هذا المذهب الذي يؤمن بدخول المجاز في القرآن الكريم واللغة))[٦]. فقد أشار ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) منذ عهد مبكر إلى هذه المسألة، وقد ناقشها بأسلوب أدبي ونقدي بارع، مؤكدًا على موافقة اللسان العربي للمجاز، مبيناً طرائق القول المجازية عند

(١) مناهج البحث البلاغي عند العلماء العرب(أطروحة دكتوراه) :٣٩.
(٢) ينظر: المجاز في البلاغة العربية:٢٤.
(٣) ينظر: الإيمان:١٠٣.
(٤) ينظر: التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة :٣٣٦.
(٥) ينظر : كتاب الحيوان: ١٣٤,١٢٣/٥.
(٦) المجاز في البلاغة العربية :١٤٩.

العرب في التعبير عن سائر احتياجاتهم اليومية المختلفة، ثمَّ ميّز بين الكذب والمجاز قائلاً: ((وأما الطاعنون على القرآن (بالمجاز) فإنّهم زعموا أنّه كذبٌ؛ لأنّ الجدار لا يريدُ، والقريةُ لا تُسألُ. وهذا من أشنع جهالاتهم، وأدلِّها على سوء نظرهم، وقلة أفهامهم. ولو كان المجاز كذبًا، وكل فعل يُنسب إلى غير الحيوان باطلًا- كان أكثر كلامنا فاسدًا؛ لأنّنا نقول: نبت البقل، وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل، ورخص السعر))[١].

وقد أيَّده في ذلك الشيخ عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) حين سلّط الأضواء على المجاز في كتابيه (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة) ليكون المنظّر البياني في التطبيق القرآني للمجاز، فبلغ البحث المجازي على يديه مرحلة النضج العلمي، والتجديد البلاغي، ليغدو مصطلحًا دقيق المفهوم، مستكملًا لأسسه ومناهجه[٢].

وقد عبَّر عبد القاهر الجرجاني عن رفضه الطعن في المجاز ليصل به الأمر واصفاً منكري المجاز بالضلالة قائلًا: ((ومَن قدح في المجاز، وهمَّ أن يصفه بغير الصدق فقد خبط خبطًا عظيمًا، ويَهرِف بما لا يخفى [...] فكيف وبطالب الدين حاجة ماسّة إليه من جهات يطول عهدها، وللشيطان من جانب الجهل به مداخل خفيّة يأتيهم منها، فيسرق دينهم من حيث لا يشعرون، ويُلقيهم في الضلالة من حيث ظنوا أنَّهم يهتدون؟)) [٣].

إنَّ استعمال المجاز في لغة القرآن ينبع من الحاجة إلى بيان محسنات القرآن البلاغية، لما للمجاز من طاقة مفعمة بحسن التعبير؛ فالحقيقة والمجاز يتقاسمان شطري الحسن والبلاغة في القرآن، ولو سقط المجاز لاختل بنيان الحسن فيه. وهذا ما أكدَّه الزركشي (ت٧٩٤هـ) في تعقيبه على نفي وجود المجاز في القرآن بقوله: ((وهذا باطلٌ ولو وجب خُلُّو القرآن من المجاز لوجب خلُّوه من التوكيد والحذف، والتشبيه والقصص وغيره، ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن فيه))[٤]. فقد قرن الزركشي خلوّ القرآن من

(١) تأويل مشكل القرآن:١٣٢.

(٢) ينظر: مجاز القرآن (الصغير):٢١-٢٢.

(٣) أسرار البلاغة:٣٩١.

(٤) البرهان في علوم القرآن:٤٧٤-٤٧٥.

المجاز، بخلوّه في المقابل من التوكيد والحذف وغيرها من عناصر البناء الفني والإعجاز القرآني وهذا محال.

وظهر عدد من العلماء يدعون إلى رفض مبدأ وجود المجاز في لغة القرآن، وخصّوا النص القرآني بالحقيقة، فضلاً عن كلام الرسول الأكرم (ﷺ) ومسوغهم في ذلك أنَّ كلام الله سبحانه وتعالى حقٌّ، وكلام رسوله حقٌّ وهو الموصوف من الله بأنَّه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ [النجم:٣] إذن لابدَّ أنْ تكون لغة الإخبار في كلام الله ورسوله مطابقةً للواقع(١).

وهكذا رفض هذا الفريق من العلماء وقوع المجاز في القرآن، ودعوا إلى التعامل مع ظاهر النَّصوص المُشْكلة، وعدم الخوض في مسائل البحث والتأويل؛ لأنَّها قد تؤدي إلى نتائج تمسّ العقيدة.

وعلى الرغم من قلّة دعاة نفي المجاز عن لغة القرآن، فإنَّهم استثاروا بأفكارهم وآرائهم قضية خلافية مازالت قائمة حتى يومنا هذا. ولعل أبرز مَن مهّد لهذه القضية ابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، وتلميذه الذي تأثر بأفكاره بشكل كبير ابن القيّم الجوزية(ت٧٥١هـ)، فقد عملا على وضع البراهين والأدلة لإثبات وجهة نظرهم في هذه المسألة، لإبطال دعوى مجيزي المجاز من العلماء في القرآن إذ رفض ابن تيمية التعامل مع المجاز في القرآن، بدعوى أنَّ تقسيم الألفاظ على حقيقة ومجاز، اصطلاح حادث، لم يتعارف عليه قبل القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، ولم يتكلم به أحد من الصحابة والتابعين، بل هو من صنيع المعتزلة مشيرًا إلى ذلك بقوله: ((تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى حقيقة ومجاز، وتقسيم دلالتها أو المعاني المدلول عليها إن استعمل لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أو في الدلالة، فإنّ هذا كلّه يقع في كلام المتأخرين. المشهور أنّ الحقيقة والمجاز من عوارض الألفاظ، وبكل حال فهذا التقسيم اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة [...] . وأوّل مَن عُرف أنَّه تكلم بلفظ المجاز، أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه[مجاز القرآن]، ولكن لم يعنِ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنَّما عنى بمجاز الآية ما يعبّر به عن الآية [...] وإنَّما هذا اصطلاح حادث من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين))(٢).

(١) ينظر: المجاز في البلاغة العربية:١٤٤.

(٢) الإيمان: ٧٣-٧٤.

وقد اعترض الدكتور محمد حسين علي الصغير على ما ذهب إليه ابن تيمية بأنَّ هذا التقسيم إلى الحقيقة والمجاز حادث، ولم يظهر إلا بعد القرون الثلاثة الأولى قائلًا: ((ولا نريد أنْ نناقش ابن تيمية في نفيه لمصطلح المجاز في القرون الثلاثة الأولى، في حين استعمله بمعناه الاصطلاحي العام كل من الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، وابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، وهما من أعلام القرن الثالث))[١].

أمَّا تلميذه ابن القيِّم الجوزية فلم يخرج عن آراء أُستاذه، بل كان متأثرًا بها مستندًا إليها في إصدار أحكامه بخصوص هذه القضية.

وقد استدل منكرو تعامل لغة القرآن مع المجاز بأدلة عدّة أورد العلوي اليمني أربعة منها في الطراز محاولاً الردّ عليها ((أولها، هو أنَّ الله تعالى لو خاطب بالمجاز لكان يجوز وصفه بأنه متجوّز مستعير، وهذا غير لائق بالحكمة. ثانيها، أنَّه لا فائدةَ من العدول إلى المجاز مع إمكان الحقيقة فالعدول إليه يكون عبثًا لا حاجة إليه. ثالثها، هو أنَ المجاز لا ينبئ عن معناه بنفسه، فورود القرآن به يؤدي إلى أن لا يُعرف مُراد الله فيفضي إلى الإلباس وهو منزَّه. رابعها، أنَّ كلام الله تعالى كلّه حقٌّ وصواب، وكلَ حقٍّ فله حقيقة، وكلّ ما كان حقيقة فلا يدخله المجاز وهذا هو المطلوب))[٢].

وقد ردَّ العلوي اليمني على هذه الأدلة مبطلًا إيّاها مبينًا وهنها غير أنَّ ردوده كانت من أصل الاحتجاج، أي إنَّها تلائم الطبيعة الكلامية للحجج ومن غير الممكن أن تقوم العلل الكلامية فضلًا عن العلل الفقهية مقام العلل اللغوية، فهي لا تصلح أن تكون بديلًا عنها[٣].

وعلى الرغم من تشدّد الرأي القائل بإنكار المجاز في لغة القرآن، فإنَّ هذا لم يمنع منكريه من الالتجاء إلى تأويل بعض آيات القرآن الكريم، معترفين بوجوده من حيث لا يشعرون؛ إذ أشار الدكتور عبد العظيم المطعني إلى تأويل ابن تيمية لبعض آيات القرآن الكريم بقوله: ((إنَّ الشيخ كثيرًا ما يحمل آيات القرآن الكريم على التأويل المجازي الواضح

(١) مجاز القرآن (الصغير): ١٧.

(٢) الطراز: ١/٨٤-٨٥.

(٣) ينظر: الاستعارة في الدراسات الحديثة(رسالة ماجستير):١٧.

الحسن الجميل. ومع هذا فمذهبه الجدلي في إنكار المجاز قد عرفناه))[1]. فضلاً عن إقراره ووصفه لتاريخ نشأة المجاز في قوله: ((إنَّ المجاز قد يشيع ويشتهر حتى يصير حقيقة))[2]. وهذا يؤكد أنَّ موقف ابن تيمية كان عقدياً لا فنيًا، وهو يفصل بين المسلكين سواء كان يعي ذلك أم لا يعيه.

المجاز العقلي والرؤية المعاصرة:

على الرغم من المتابعة النقدية الحديثة للتفكير الديني في تناول المجاز، فإنَّها لم تتعدَّ الرؤية التنظيرية، التي تقف عند تاريخ نشأة الجدل بين الفرق والمذاهب حول المجاز في لغة القرآن، وإيراد الأدلة، والبراهين من التراث اللغوي والبلاغي التي استند إليها كلٌّ مَن رفض وجود المجاز ومَن اعترف به، وهذا أبرز ما تناوله النقّاد المعاصرون حول هذه المسألة أمثال الدكتور مهدي السامرائي في كتابه (المجاز في البلاغة العربية) في بابه الأوَّل الذي خصّه بدراسة النشأة التاريخية للمجاز ومراحل تطوّره.

ولم تختلف رؤية الدكتور وليد قصَّاب عن تلك الرؤية التقليدية، في كتابه (التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري) موضحًا منهجه الذي اعتمده في دراسته بقوله: ((وقد تتبعنا في الدراسة منهجًا تاريخًا فنيًا))[3]، محاولًا الوقوف عند أبرز جهود المعتزلة من النقّاد والبلاغيين واستخلاص خصائصها وسماتها في البحث وما نتج عنها من ضجة كبيرة في تاريخ الفكر العربي.

أمَّا الدكتور عبد العظيم المطعني، الذي يُعدُّ أبرز مَن بحث هذه المسألة وتوسع فيها، فقد تتبع جزئياتها ليصل إلى نتيجة تعبر عن رؤية أغلب النقّاد/البلاغيين المعاصرين ممَن لم يؤمنوا بقضية إنكار المجاز مشيرًا إلى ذلك بقوله: ((إنَّ إنكار المجاز في اللغة بوجه عام، وفي القرآن الحكيم بوجه خاص، إنَّما هو مجرّد دعوى بُنيت على شبهات واهية، كُتِب

(١) المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه:٧٦-٧٧.

(٢) دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية :٣٠٨/٣، وينظر: المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه:٧٧.

(٣) التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة:٧.

لها الذيوع والانتشار والشهرة ولكن لم يُكتب لها النجاح))[١]. مؤكدًا أنَّ السبب وراء استعار الثورة على المجاز، إنّما هو ارتباطه بمجال العقيدة والتوحيد[٢].

وبالمقابل كانت هنالك بعض الدراسات المعاصرة التي تحمل رؤية ضيقة عن المجاز، فهي لم تزل تؤمن بقضية الإنكار على الرغم من مرور زمن طويل وما حمله من نضج فكري فإنَّ هنالك من أبى إلا العودة إلى نقطة البداية محاولًا بعث ذلك الصراع العقدي من جديد.

وأبرز مَن بحث هذه القضية بعد سكون ظلَّ عن إنكار المجاز قرون عدّة من وفاة ابن القيم الجوزية الشيخ (محمد الأمين الشنقيطي) عندما وضع رسالة في منع المجاز في القرآن الكريم أطلق عليه، (منع جواز المجاز في المنزّل للتعبد والإعجاز)، فقد حاول إنكار وجود المجاز في القرآن مبرراً ادعاءه بأنَّ كلام الله حقيقة ولا يجوز نفيه قائلًا: ((لا شيء من القرآن بمجاز وهذه، النتيجة كليّة سالبة صادقة))[٣]. منكرًا على المعاصرين ادعاءهم الإيمان بجواز المجاز في القرآن الكريم ليكون ذريعة للتوسع في التأويل، ونفي صفات الكمال والجلال الإلهي، مؤكدًا وجوب التعامل مع ما جاء في القرآن والسنّة بحسب ما تقتضيه ظواهر الألفاظ، مشيرًا إلى ذلك بقوله: ((فإنَّا لمَّا رأينا جُلَّ أهل هذا الزمان يقولون بجواز المجاز في القرآن، ولم ينتبهوا لأنّ هذا المنزّل للتعبّد والإعجاز كلَّه حقائق وليس فيه مجاز وأنَّ القول فيه بالمجاز ذريعة لنفي كثير من صفات الكمال والجلال، وأنَّ نفي ما ثبت في كتابٍ أو سنّة لاشك في أنَّه محال))[٤]. ولم يقتصر إنكار الشيخ للمجاز بحسب رأي الدكتور عبد العظيم المطعني على القرآن والسنة فحسب، بل تعداه إلى إنكار المجاز في اللغة مطلقًا، ولكنَّه على الرغم من إنكاره هذا فإنَّه لم يسلم من المجاز في حرّ كلامه، فكان في ذلك مثل ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم الجوزية، إذ إنَّ له في المجاز مذهبين:

الأوّل: جدلي نظري انتهى فيه إلى منع المجاز وإنكاره.

---

(١) المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه:٨٤.

(٢) ينظر: المكان نفسه.

(٣) منع جواز المجاز: ٧.

(٤) المصدر نفسه:٣.

Abstract

This study deals with the use of metaphor in different critical studies and how such studies tackle with the contemporary criticism .No doubt that the contemporary rhetorical need more investigation and search in order to see the relation between such studies and the rhetorical heritage, as well as benefit the got from the technical and critical variables which attached the creative process in different periods.

Metaphor considered as one of the active and wealthy systems which have aesthetic and semantic value at the same time .Metaphor excludes the apparent meanings and transforms them into deep positive meanings ,such a thing makes the recipient feel the enjoyment the meanings conveyed by metaphor. So, many studies shed more light on metaphor and they engaged in such rhetorical art such as Dr.Mahdi Al-samaraai ‘s study entitled (metaphor in Arabic Rhetoric),such study has great effect in the settlement of the most significant critical principles for metaphor in spite of its different method in accordance with m study.

This study finds that there is an influential significance in restricting the introduction to deal with the clarification of the two terms (vision and visions)which show the gap and he overlap between the two terms.

The first chapter in this study deals with the traditional trend of metaphor in the modern critical visions , then the chapter is divided into three sections preceded by a prologue that identifies the origin of the traditional rhetoric and its trends . The first section deals with the contemporary critical views who denied the existence of metaphor in Holy Quran and the prophetic traditions, as well as the views which assure the existence of metaphor in Holy Quran and prophetic traditions. While the second section dealt with the fractional and logical views which prevail the Arabic culture –specially metaphor –by Al-Sakaki and others who follow him though many critics refused such vision which takes metaphor away from art, beauty and aesthetic .Finally, the third section sheds light on the previous standard norms about metaphor through the creative achievement .Accordingly, it has been found that many critics had adopted this vision though its danger since it limited the creativity of the creator on one side and dominated the recipient’s taste on the other side .

The second chapter dealt with the stages of development of metaphor ,practically it has been divided into three sections. The first one studies the metaphorical image and the relation of this image with metaphor in the light of the contemporary critics' views ,also ,it concerned with the problem of originating the metaphorical image .The second section sheds light on metaphor as one of the poetic tropes with reference to the various visions that of the critics ,also this section includes the poetic study of the prose not to be limited to poetry since the language of prose nowadays dissipated from the daily life language so it has the feature of being literary .Thirdly, we find that the section dealt with the sign and the connection of sign with metaphor to generate the inspiration energy and to acquire sensitive and expressive meanings.

The third chapter includes two sections ;the first one dealt with the cultural criticism and the mechanism of the entire metaphor and its impact on the implicit cultural formats through the various environments ,accordingly metaphor might not be considered as a rhetorical trop only but it might include all the format dimensions in the speech and in the receptive verbs .Moreover , it has been revealed that this study has expanded to include more about the cultural criticism and the reason behind this since it is a new term unclear to many new Arabic and western critics. The second section dealt with metaphor through the modern theories which elucidate the philosophy of using metaphor and actually the most well-known theories which tackled the contemporary critics' views as the replacement theory, and the interactive theory which have a great position in the ancient Arabic rhetorical criticism till the modern age as well as the relation theory , the contextual theory and the pragmatic theory..

Finally, the aim of this study with all its rights and faults –is to be the first step in the knowledge way.